اللغة العربية والتجدد

ثانيا : الشعراء والنرسلون
Poètes et Prosateurs arabes

يقال ان الشاعر ميزان الامة ومعيار رقيهـا وانحطاطها . اذن فما احرانا ان نتلمس حظنا المأثور ؟ فالشاعر عندنا عبد رقيق للقديم لا يزال ينسج الشعر كما نسجه عنترة وذا الرمة وجرير والفرزدق وغيرهم . ولذا لا تجسد عندنا شعرا عصريا بكل ما تتطلبه كلمة « العصر » من معنى وقوة . وانما عندنا ما يسير على منوال القديم ببعض « معاصرة » . ومما يزيد تشويها الشعر العربي العصري اغترار الشعراء بنفسهم ، واعتدادهم بانفسهم وحبهم اظهار « شخصياتهم » بمظهر المتضلع من العربيـة ، الملم بدخائلهـا وشواردها . وكل سعيهم منحصر في تنقية الكلام واستصفاء زخارفه . ولا اذكر اني عثرت على شعر متدفق ، حي ، مستقل لاحد هؤلاء المعاصرين سوى بعض قصائد لا تتجاوز عدد الاصابع زل بها القلم ! اذ نحن لا نزال نجاري شعراء المئة السادسة والسابعة والثامنة في شعرنا في الافكار والتخيلات . . . فما الشعور الذي يتخلل شعرنا العصري سوى تصنع ! وما المخيلة التي تبعث به سوى مقلدة ! . . الا ليت هؤلاء الشعراء تركوا الشعر وتبذوا الخيلاء والتكبر ، وكفوا الناس شر ثرثرتهم وبحثوا عما هو افيد لهم وللعربية !!!

هيهات ! هيهات !

لا بد للعربية من شاعر يخرج عن طور القديم ، لا يتقيد باي قيد من قيود التقاليد العتيقة ، بل ينهج مناهج الاوربيين — ولا يتأثر إلا في اللازم الضروري من القديم — لان الشعر عندهم في اعلى درجاته وارقاها . ومن شروط هذا الشاعر ان تكون عوامل الشاعرية فيه على اتمها ، يكون شاعرا « شخصيا » حيا ، واقفا على مجرى العلوم الحديثة ، ملما بالتاريخ والمدنيات ، متمكنا من الآداب الغربية ومطلعا على دواوين اعلام الشعر الغربي ومتأثرا بها (١) كلامرتين ودي موسه

(١) اننا نعتقد ان الابتعاد عن التأثر بالثقافة السكسونية افيد لنا ، فعبقره لا توافق طبيعتنا ، وتنفر منها مزاجنا ، وتبعدنا عن انفسنا كل البعد ؛ في حين ان الثقافة اللاتينية تقربنا اشد التقريب من نفوسنا وحسب المرء منا ان يكون قد القى لفترين من لغات الفرنسيين

ودائني وامثالهم ، مستمدا منهم وحي الشعر الحي الحقيقي. فلا نقنع بدواوين السلف الاقدمين فحسب ، ونتأثر بها ، واني لاعجب للشاعر منا لا يلتفت الى ما هو خارج عن حدود العربية ويزيدني استغرابا ان اجد الكتاب ايضا ، اذا ما تناشدوا اخبار التاريخ ذكروا سلفنا العرب ، كأن هؤلاء الذين قذفتهم الارض ولفظتهم الباوية الجرداء ، سادة الاجتماع وكأن تاريخهم وحده هو تاريخ العالم بأكمله ، او كأن المكان لا يتسع إلا لاخبارهم ونوادرهم وخرافاتهم ووقائعهم ، نعم لقد اتوا اعمالا عظيمة تستحق الاعجاب والحمد ولكن ليست الى هذا الحد الذي يجعلنا ان نذكرهم اناء الليل واطراف النهار وفي معرض كل كلام ، حيث لايكون لذكرهم من لزوم بل لا يتعلق بهم على الاطلاق بامر ، وبلغ ببعض المتهوسين ان لايتذاكروا ربهم بقدر ما يذكرون العرب من تمجيد وتعظيم ، اذكر اني قرأت لاحد الشعراء المعاصرين قصيدة كرر ذكرهم ست مرات في بيتين منها ، وفي معرض سخيف جدا ، فتأمل !

اذن فالشاعر العصري يجب ان يسير على مثال ابناء الغرب ، ولا يقتبس من القديم سوى ما كان ضروريا ، لئلا يفسد ذلك لغته ونرى ان لا يضع همه الوحيد في العربية فقط ، بل يأخذ بما تأثرت به اللغة من اللغات القديمة الاخرى كالسريانية مثلا ، فالافرنج انفسهم ، مع ما بلغته لغاتهم من رقي « ومعاصرته يأخذون عن اللاتينية واليونانية ليجيدوا الكتابة في لغتهم ، فهذا راسين Racine الذي عاش في القرن السابع عشر يكتب الى ابنه ناصحا ان لا يكتف على شعراء الفرنسية فقط ولا يجعلهم درسه الوحيد ، وها اننا نورد ههنا الفقرة مترجمة الى العربية حرفا بحرف وهي من كتاب له الى ولده مؤرخ في الثالث من حزيران (يونيو) عام ١٦٩٣ (اي قبيل وفاته بسنوات ست) :

احداهما سكسونية الاصل والاخرى لاتينية ويقابل بينهما بجداتنا تحفون في ما تقول ونستثني من هذا الحكم بعض مؤلفات لشكسبير استمد وحيها من اللاتينية وكذلك ملتن .

وان كان القارئ لايجيد احدى اللغات السكسونية او اللاتينية فليتناول مجلة في العربية متأثرة بالاولى (ولدينا كثير منها) وليضعها الى اخرى متأثرة باللاتينية ، وليقابل بينهما فانه يجد بلا ريب ما قلناه ويحكم حكمنا نفسه. فاذن الافضل إيثار الابتعاد عن السكسونيات خوفا من السقوط في هوة التأثر مما يناجز اميالنا وطبيعتنا .

« انك تطيب خاطري بما تبينه لي من امر معالماتك ، إلا اني احثك على ان لا توجه كل فكرك الى الشعراء الفرنسيين بل فكر في انهم لا يجب ان يكونوا لك إلا بمنزلة لهو لك . لا لان تتخذهم غرضا لمباحثك الحقيقية . وعلى هذا اوضيفي أن تستطيب بعض الاحيان أن تكلمني عن هوميرس وكوتتليانس وغيرهما من المؤلفين الذين هم من تلك الطبقة » .

وغير واحد من الفرنسيين كثار قالوا ما يشابه هذا الكلام اي ان لا يكون للانسان ابدا للقدماء ابناء لغته فقط ويحنو حنوهم بل يشق لنفسه طريقا جديدة ولو اردنا لملأنا صفحات من « لغة العرب » باستشهادات منهم ! وقد يقول البعض من ذوي العقول الضيقة ان عند الافرنج وغيرهم آدابا ليست عندنا ، وقد لا نوافق اسلوبنا ، فلهؤلاء نقول ما قاله بوالو Boileau : « ان لم تجد الكلمة التي تطلبها فاخترعها » اي اننا ان لم نجد عند القدماء ما ينتفع منه ، فما علينا سوى ان نستحدث الاسلوب المطلوب ونتقله عن ابناء الغرب بعد قليل من التحوير والصقل .

والآن فلننظر الى ما يلي هذا في الاهمية وهو :

ثالثا : المعهد العلمي العربي (١) l'Institut arabe.

(١) نرى ان كلمة « مجمع » في العربية لا تؤدي بالضبط معنى كلمة Académie الفرنسية ، كما يخال البعض : بل هي تقابل بالاكثر كلمة Institut ، اي المجمع الذي في خسته « اكاديميات » ويستحسن ان تكتب Académie في العربية بلفظها الافرنجي نفسه فيقال « اكاديمي » او اذا اريد صوغها صياغة عربية ، فلا بأس من ان يقال « اكاذيمية » اكاذيمي ، او اكاديمية » وصيغة الجمع تتبع هذه كالمفرد فيقال « اكاذيميات او او اكاديميات » .

(لغة العرب) نحن لا نوافق الكاتب على رايه . فان ما سماه الفرنسيون (انستيتو) Institut اتفق المعاصرون على تسميته بالمعهد وهو حسن المعنى والمبنى . واما المجمع العلمي واحسن منه مجمع العلماء فيوافق أكاذيمية (راجع لغة العرب ٤ : ١٠٥ و ٣١٣ ثم ٥ : ٤٣٥ و ٤٣٦) والاحسن منهما حق لان الغاية من هذا المجمع الاحقاء اي حمل العلماء على ان يبحثوا عن حقائق الامور او اخبار العلم وهو المطلوب منه . والكلمة اخف من « الطفل » الذي شاعت بمعنى آخر وقد جاء في كتب اللغة : الحفي : العالم بتعلم الشيء باستقصاء ومنه في سورة الاعراف : يسألونك كأنك حفي عنها اي عالم بها فعيل من حفي عن الشيء . اذا سأل عنه مستقصيا لان من بالغ في السؤال عن الشيء والفحص عنه استحكم علمه به (هذا كلام الزمخشري في الكشاف ١ : ٥٢٠) .

لندخل في الموضوع المنشود دون مواربة ولا محاباة . فالذي نريده هو مجمع علمي بكل ما في هذه الكلمة من قوة . اي لانريده مجمعا لغويا بحتا لايبحث إلّا عن اصول وقوانين اللغة كما هي الحالة الآن بل نبتغيه مجمعا علميا Institut كما في اوربة يجمع الاكاديميات في ضمنه .

أكاديمي اللغة او بلغة اصح الاكاديمية العربية . لا تؤدي في عرفنا مهمة احياء العربية كما يجب . نحن لا نريد تقدم وتجديد كلمات في الآداب فقط بل في العلوم بانواعها جميعا . فالعالم الآن يرتكز على العلوم لا على النظم والنثر والبيان والبديع . فاذن لامندوحة لنا عن انشاء المجمع على النمط الاوربي فيحتوي على خمس اكاديميات — (ونظن ان في الامكان ان نجد في شرقنا العربي اعضاء اختصاصيين في اكثر فروع هذه العلوم . وما لم نجد له اختصاصيا فلا بأس من تركه حتى يتاح لنا) — وسيأتي على ذكرها في وقتها وهي الكفيلة لنا بتجديد نشاط العربية وتقدمها ومضارعتها للغات الاوربية بعد ان تصنف اغلب كتب النحو والصرف والادب الغليظ وغيرها .

***

هذا المجمع العربي لا ينشأ من سوريين او لبنانيين فقط او من مصريين او عراقيين او غيرهم من الناطقين بالضاد . كلا ! اذ العربية ليست لقطر من هذه الاقطار دون آخر منها . وحيث انه ليس من لغة مصرية او سورية او عراقية . بل جميع الشرق الادنى تقريبا يتفاهم بلغة عدنان . وحيث انها الملك المشاع للجميع . فلا حرج من ان يكون لكل منها حق التداخل في شؤونها . ولكي لاتختلف الآراء وتتضارب الاقتراحات وتتشابك الاقوال والاعمال . فلا يوافق مجمع على امر ويأتي بمشروع يناجزه مجمع آخر — اذا ما انشيء في كل قطر ناطق بالضاد مجمعا . فالاوفق والاقرب الى الصواب والسلام . تأليف مجمع واحد فقط . يختار الاعضاء من بلاد الشرق العربي ارباب الكفاية والاقتدار . وتكاليفه تتحملها حكومة كل منها بالتعديل .

يجب ان يتألف المجمع العربي على النسق الاوربي دون ادنى تبديل . اذا اريد بعث الحياة في لغة السلف . وها انا نورد فيما يلي الاكاديميات وفروعها التي

يشمل عليها المجمع الافرنسي وهو خير مثال . فهو يتألف من خمسة اكاديميات هي :

اولا : الاكاديمية الافرنسية (٤٠) [١]

ثانيا : اكاديمية العلوم (٧٢)

وتحوي هذه العلوم : الهندسة . الالات (الميكانيكيات) . الفلك . الجغرافية وعلم البحار . الطبيعيات العمومية . الكيمياء . الجوامد والمعادن . النباتات . الاقتصاد الحقلي . التشريح . الحيوانات . الطب . الجراحة .

ثالثا : اكاديمية الرقم والاديبات (الادب . البيان . الانشاء) (٤٠)

رابعا : اكاديمية علوم الاخلاق والسياسة (٤٠) .

وتتركب من علوم : الفلسفة . علم الاخلاق . علم الشرائع . الاقتصاد السياسي . التاريخ .

خامسا : اكاديمية الفنون الفائقة (٤٠)

وتتركب من علوم الرسم . التصوير . الحفر . الرياضة العمارة) . النقش . الموسيقى .

هذا ما يتأسس منه المجمع العلمي الافرنسي ومنه نطلع على عدم اختصاصه باللغة او بعلم آخر فقط بل يطرق كل ابواب العلوم العصرية المعلومة فاذا سير بما فيه — وبذا تتقدم اللغة خير تقدم — نجحنا واصبحت لغتنا كاملة اذ تدخل فيها كلمات كثيرة هي في اشد الحاجة اليها .

اللغات السامية والتورانية وتأثيرها في العربية

لا يخفى علينا ان العربية تأثرت بلغات شتى اخصها الفارسية ثم السريانية وتأثرها بالاولى يبتدىء عهده منذ ايام الجاهلية . اولا : حين كان جزء من البلاد العربية يقع تحت سيطرة الاكاسرة .

ثانيا : حين انتقال الخلافة الى ايدي بني العباس . وانتقال الملك والحكم الى العراق في دار السلام . كان اكثر الحكام والوزراء من العجم (المجوسيين المسلمين) ومن وطد الحكم للعباسيين في تلك النواحي كان رجل يمت الى الفارسية بالدم وهو ابو مسلم الخراساني القاتل الظالم صريع المنصور . ومن بعده تناول شؤون الحكم البرامكة وغيرهم . فهذا الاحتكاك بالفارسية انتج ادخال كثير

(١) هذا الرقم يرمز الى عدد اعضاء كل اكاديمية .

من الالفاظ والكلمات الفارسية حتى ان اقدم كتاب عربي عندنا لم يخل من الدخيل الفارسي .

يبتدىء تأثر العربية بالسريانية منذ عهد الجاهلية حين كان لبني غسان سلطة من قبل الروم على بعض انحاء البلاد العربية . ثم كان دخول العرب دمشق وافتتاحهم سورية ومعلوم لدينا ان هذه اللغة كانت لسان اغلب اهل سورية حتى ان بني غسان العرب الصميم كانت السريانية تخالط كلامهم العربي . ثم كان وزراء الامويين المشهورين وهم كما تعلم من ابناء الشأم كابن سرجون عضد معاوية وغيره . فان حكومات العرب لم يكن لها في بادئ الامر من العربية إلّا اسمها بل كان ذلك في كل ايام حكمهم في دمشق : اذ كانت في ايام حكم الامويين عربية المظهر سورية الادارة وفي دولة العباس في بغداد . فارسية عراقية الادارة وقل كذلك عن باقي البلاد التي افتتحوها . ففي مصر الاقباط (الذين اعتنقوا الاسلام دينا) وفي الاندلس المغاربة ولم يلحق العرب بعد مائة عام من ظهور الاسلام سوى العلامات البارزة وظلت السريانية في الديار السورية تغالب العربية وهذه تغالبها حتى تم النصر للاخيرة فلجأت الاولى الى شمالي لبنان . الى ان قضي عليها كل القضاء في المائة السابعة عشرة للسيد المسيح . ولا يزال الجاثل في لبنان يجد اليوم شيئا من اللهجة السريانية في بعض القرى النائية .

كل هذا الاحتكاك . أولد ـ ولامراء في ذلك ـ اثرا . نراه باديا لنا . ولا سيما في لغاتنا او قل في لهجاتنا العامية فكسبت منه العربية كسبا جزيلا . ولذا نرى من الواجب المحتم ان تلقن في المدارس احدى هاتين اللغتين . في الفرع الخاص بالعربية . أي ان تكون من مواد درسها . « وان لا يقبل » في اي اكاذمية من المجمع العلمي العربي . سوى من اتقن احداهما . او كليهما ـ وكن التأثر في العربية وقلع رخامها ـ « اذا كان عضوا في الاكاذمية العربية » . فضلا عن تذرعه ببعض لغات اوروبية كي ينقل عن آدابها ما يوافق العربية ويعوزها .

الناطق بالضاد من يتعلم احدى اللغات السامية . ويتعلم العربية ايضا ومن حيث ان لغتنا هي لغة سامية . اذ قد تكون ابنة لاحدى لغاتها . فان من يتعلم كلام يتعلم ما تسلل فيها منها ويستفد منها . انظر الى اللاتينية فانها ام الفرنسية . فمن

تعلمها واتقنها ، تفهم الفرنسية احسن تفهم ، وتميز بجمال اسلوبه وطلاوة وسلاسته وحسن تعبيره ، لان اصول الفرنسية ترى في اللاتينية .

وفي الغرب ، في الدول اللاتينية الاصل تدرس الاخيرة بين مواد التدريس فما احرانا نحن ان ندرس السريانية ، شقيقة العربية الكبرى ، وجعلها من تدريس اصول اللغة العربية في الصفوف الثانوية . وحبذا لو جعلت ايضا الفارسية بالاختيار لمن يريدها من طلبة الصفوف العليا الذين يودون حذق العربية واتقانها كل الاتقان ، وكذا تتم الفائدة وتتقدم لغتنا .

الخلاصة

هذا مجمل رأينا في هذا الموضوع ، بسطنا فيه اهم مواطن الضعف والنقصان في العربية ، فعسى ان نكون قد اصبنا في التبيان واتينا بالحق — وما المعصوم من الزلل سوى الله — وقد عدانا الى كتابة هذه السطور ، خوفنا على هذه اللغة الكريمة ، ان تتناولها يد الفساد ، وتعمل فيها يد الزمان ، فتدخل في حكم الطبيعة... وكلنا أمل ان نرى في القريب العاجل نهضة في شرقنا العزيز تحيي ميت الرجاء وتبعث العربية من رقدتها .

الى معشر الكتاب ، والجمع حافل بسطت رجائي ، بعد بسط شكاتي

والله الموفق انه السميع المجيب .

بركات (السودان) ميشيل سليم كعيد

معجم الشعراء للمرزباني

اقتنت دار التحف في برلين في السنة الاخيرة كتاب خط هو معجم الشعراء للمرزباني وقد اعارتني اياه وافتنت به الي في لندن . فوجدته الجزء الثاني والاخير من المعجم المذكور . ويبتدئ اوله بمن إسمه عمرو وعددهم زهاء مائتين وقد نسخ هذا المجلد مغلطاي بن قليج في القاهرة في سنة ٧٣٤ هـ وقد علق على حواشيه فوائد مستلة من مخطوطين من «جمهرة النسب لابن الكلبي » ومن مصادر أخرى . وثمن الكتاب لا يتوقف على شواهد الابيات الواردة فيه بل على ما سواه من التفاصيل الجمة التاريخية التي لا ترى في سفر آخر .

بكنهام (انكلترة) فريتس كرنكو